

موتيف الإغتراب في شعر يحيى السماوي

رسول بلاوي^١، مرضية آباد^٢، عباس طالب زاده شوشتري^٣، عباس عرب^٤

تاريخ الوصول: ١٤٣٣/٣/٢٥

تاريخ القبول: ١٤٣٣/٧/٢٨

لقد حظى البحث عن الموتيف باهتمام واسع في النقد الأدبي الأوربي باعتباره عنصراً فعالاً في النقد وتحليل النصوص الأدبية. وأصل كلمة «الموتيف» فرنسية، تعني في الأدب الفكرة الرئيسة أو الموضوع الذي يتكرر في النتاج الأدبي أو المفردة المكررة أو الحافز والباعث. والإغتراب والذي يعني ابتعاد الإنسان عن وطنه الأم قد يصير موتيفاً عند الشاعر إذا اضطرَّ أن يعيش بعيداً عنه وعن كل ما يؤنسه ويحبّه فيكرره ويجوم حوله من قريب أو من بعيد ويتحدث عما ينتابه من مشاعر سلبية.

تهدف هذه الدراسة التي اعتمدت في خطتها على المنهج الوصفي - التحليلي، إلى الكشف عن الموتيف وتوظيفه في شعر الشاعر العراقي المقيم في استراليا يحيى السماوي، لتجيب عن الأسئلة التالية: ما هو سبب إلحاح الشاعر على الإغتراب وتكراره؟ وما هي الموتيفات والرموز المتعلقة بهذا الموضوع؟ وما هي دلالاتها وإيحاءاتها الرمزية؟ والإغتراب بما فيه من القلق النفسي والمرارة والحزن سرى في هيكل شعر السماوي في كلماته وعباراته وصوره ومعانيه؛ فقد طرد من وطنه الحبيب فعاش غربة جسمية كما أن التزامه بقضايا وطنه وإحساسه المهف جعلاه يعيش غربة روحية وفكرية. وقد توصلنا في هذه الدراسة إلى أن الإغتراب من أهم الموتيفات في شعر السماوي والذي ينقلنا إلى أجواء الشاعر النفسية وينطوي على محاور تعود إلى إحساسه بالغربة، وأهمها الحزن والموت والمرأة والحنين، وبعض الرموز التي تدل على الغربة كالطيور المهاجرة والحمامة والبحر والريح.

الكلمات الرئيسية: الشعر العراقي، الموتيف، يحيى السماوي، الإغتراب، الحنين، الرمز.

١. طالب دكتوراه فرع اللغة العربية وآدابها في جامعة فردوسي مشهد، r.balawi@yahoo.com
٢. استاذة مساعدة في قسم اللغة العربية وآدابها جامعة فردوسي مشهد، mrz_abad@yahoo.com
٣. استاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها جامعة فردوسي مشهد
٤. استاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها جامعة فردوسي مشهد

المقدمة

التعريف بالموتيف

الموتيف مفردة تعني الحركة، الإثارة، الإلحاح والدافع. وأصل الكلمة هو بهذه الهيئة، والإستعمال المتداول لها كان في اللغة الفرنسية، وقد دخلت في اللغات العالمية الأخرى. وتستخدم كلمة «الموتيف» في فنون وعلوم مختلفة، منها: الرسم، والنحت والهندسة المعمارية، والموسيقى، والحياكة، والخياطة، والتصوير والأدب.

و الموتيف في الأدب يعني الفكرة الرئيسة أو الموضوع الذي يتكرر في العمل الأدبي، أو المفردة المتكررة، أو الحافز والباعث (طه، ٢٠٠٤م: ٢٠٨).

تُعرّف كلمة «موتيف» بشكل عام بأنها الجزء المتكرر والمستمر الحامل لمعنى أو قيمة ثقافية، والذي يدخل في تكوين الشكل (البنية .. إلخ) أو المحتوى لمختلف أنواع الإنتاج الثقافي (الشامي، ٢٠٠٧م: ٢٩).

وفي دراستنا هذه بحثنا كثيراً عن معادل للموتيف في اللغة العربية فلم نعثر على شيء؛ أما في اللغة الفارسية فقد تُرجم هذا المصطلح بـ (بن مايه)، أو (درون مايه)، أو (نقش مايه)، وبرأينا هذه الترجمة ليست معادلاً دقيقاً للموتيف؛ لأن التكرار هو السمة الغالبة على الموتيف في الأعمال الفنية والأدبية، وهذه الترجمة لا تدلّ على هذا الجانب.

الموتيف قد يكون كلمة (فعلاً أو اسماً أو حتى أداة)، وقد يكون فكرة أو جملة أو تعبير يتكرر في مرحلة ما، عند شاعر محدد، أو شعراء مرحلة من المراحل، أو يصبح «لازمة» تتكرر في فترة تاريخية معينة. ومن أمثلة ذلك في الأدب العربي فكرة (الهامة) وهي روح القتيل التي تصيح طالبةً للثأر، والوقوف على الأطلال، وعيون المها، أو «الأنا» عند المتنبي، و«حدثني عيسى بن هشام» في مقامات الهمذاني، و«أدركت شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام

المباح» في ألف ليلة وليلة، وكذلك التأريخ في الشعر في العهد المملوكي، والمرأة في شعر نزار قباني، أو الحارة المصرية في روايات نجيب محفوظ، أو صورة اللجوء والشتات الفلسطيني، أو الحنين للفردوس المفقود أو الأندلس الجديدة في الشعر الفلسطيني بعد النكبة، وصورة الحجر في شعر الإنتفاضة الفلسطينية (طه، ٢٠٠٤م: ٢٠٧).

أهمية الموتيف

الموتيف يساعدنا على معرفة أسلوب الشاعر، كما يشير إلي القضايا والأفكار التي كانت تشغل ذهنه. وإذا وجد عند شاعر من الشعراء إنما يوضح تلك العلاقة الحميمة والتلاحم الكبير بين هذه الصور والمعاني وبين الواقع النفسي للشاعر وتوجهاته وآرائه. كما أن الشاعر يستخدم الموتيف ليضخّ من خلاله ما يتراكم في داخله وما يعتمل في صدره، وليفرغ الشحنات التي تتصادم وتقذح بين أضلاعه كعملية تنفيس وتخليص.

لا يخفى أن تكرار فكرة أو صورة أو رمز ما حتى يصبح موتيفاً، يعني أهمية تلك الفكرة أو الصورة أو الرمز عند الشاعر، حيث تضجّ وترغي في رأسه حتى تملأ عليه نفسه، بمعنى أن للموتيف دلالة نفسية، تشير إلى أهمك الشاعر في بُعد معين أو استغراقه في فكرة ما، ثم «تبدأ له من تراث إنساني وروحي، وكأنك تحس بها قد أغلقت دونه كل طريق، فحيثما إتجه يمثلها هناك، فإذا هو أغلق نفسه دون الأشياء، إصطدم بها كذلك في أعماق نفسه» (اسماعيل، ١٩٧٢م: ١٦٦). ثم يقبلها ويمدّها بشرايين جديدة تعطيها القوة والحيوية والألق، وتحقق لها حضورها وفاعليتها.

والموتيف لا يقوم فقط على مجرد تكرار اللفظة في السياق الشعري، وإنما يقوم على ما تتركه هذه اللفظة من

وقد حظي اليوم البحث عن الموتيف باهتمام واسع في النقد الأدبي الأوروبي والأمريكي باعتباره عنصراً فعّالاً في النقد وتحليل النصوص الأدبية.. وقُدِّمت دراسات وكتب ومقالات ومعاجم وموسوعات عديدة حول الموتيف والمضامين.

لكننا في الأديين العربي والفارسي لم نعثر علي دراسات حول الموتيف قبل عقدين من الزمن، فقد دخل هذا المصطلح مؤخراً ومن خلال النقد الأدبي الغربي.. و علي الرغم من ذلك لم يحظ بدراسات معمّقة في هذين الأديين بل أشار له بعض النقاد والباحثين في طيّات دراساتهم النقدية معرضين عن أصوله وجذوره.. ولعلّ دراسة محمد تقوي عن الموتيف الموسومة بـ «موتيف چيست وچگونه شكل می گیرد» (ما هو الموتيف وكيف يتشكّل) والتي تمّ نشرها بمجلة «نقد ادبی» في جامعة «تربیت مدرس» هي الفريدة من نوعها في هذا المجال.

أما الدراسات التي نالت قصب السبق في تجربة السماوي نخصّ منها بالذكر كتاب حسين سرمك حسن، الموسوم بـ «إشكالية الحدائث في الشعر السياسي: يحيى السماوي نموذجاً»، وكتاب محمد جاهين بدوي الموسوم بـ «العشق والإغتراب في شعر يحيى السماوي»، وكتاب فاطمة القرني الموسوم بـ «الشعر العراقي في المنفى: السماوي نموذجاً»، وكتايب عصام شرتح الموسومين بـ «آفاق الشعرية: دراسة في شعر يحيى السماوي» و«موحيات الخطاب الشعري: دراسة في شعر يحيى السماوي».

أما الدراسات التي تناولت تجربة السماوي الشعرية في إيران، فقليلة جدا منها: رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير في جامعة تربيت معلم بمحافظة آذربايجان وعنوانها «مفاهيم المقاومة في شعر يحيى السماوي» باللغة الفارسية للطلّبة «ليلا جباري كيلانده» تحت إشراف «عبدالأحد غيبي».

أثر انفعالي في نفس المتلقي، وبذلك فإنه يعكس جانباً من الموقف النفسي والإنفعالي، ومثل هذا الجانب لا يمكن فهمه إلا من خلال دراسة الموتيف داخل النص الشعري الذي ورد فيه، فكل موتيف يحمل في ثناياه دلالات نفسية وانفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق الشعري، ولولا ذلك لكان تكراراً لجملة من الأشياء التي لا تؤدي إلى معنى أو وظيفة في البناء الشعري، فالموتيف إحدى الأدوات الجمالية التي تساعد الشاعر على تشكيل موقفه وتصويره في إثراء الدلالات والبناء الشعري.

يُعد الموتيف في شعر السماوي من الظواهر التي تستخدم لفهم النص الأدبي؛ ولا يقوم فقط على مجرد التكرار في السياق الشعري، وإنما ما يتركه هذا التكرار من أثر انفعالي في نفس المتلقي، فإنه يعكس جانباً من الموقف النفسي والإنفعالي. وقد حاول الشاعر أن يجعل من الموتيف أداة جمالية تخدم الموضوع الشعري، وتؤدي وظيفة جمالية تساعد على إثراء الدلالات، وتكشف عن الإلحاح أو التأكيد الذي يسعى إليه.

خلفية البحث

لقد ظهرت أوّل دراسات معمّقة وخصبة حول الموتيف في الأعمال الأدبية في الأوساط الثقافية الغربية. وأوّل دراسة في هذا الصدد، هي الدراسة التي أعدها «استيت تامسون» أواخر الستينات من القرن العشرين تحت عنوان «معجم موضوعات الأدب العالمي». والدراسة الثانية في هذا المجال هي دراسة «اليزابت فرنزيل» الألمانية التي أثرت المكتبة العالمية بكتايبين هما: «مضامين الأدب العالمي» و«موتيف الأدب العالمي»، وقد إهتدي بهما الكثير من الباحثين (تقوي، ١٣٨٨هـ. ش: ٨ و٩).

القهر أن يعيش بعيداً عنه، ويشعر بمرارة الغربة عن الأرض لأن طموحه يتعارض مع ما هو حاصل فوقها من قمع للحرية، واغترابه عن الأرض يستمر طويلاً، ويعتبر عودته إليها للموت فقط» (مغنية، ٢٠٠٤م: ١٩). وبرأينا أن هذا التعريف ينطبق تماماً على مفهوم «النفى» دون الغربة، لأن الإنسان قد يتغرب عن وطنه متعمداً لا مرغماً. ولو أن النتائج الحاصلة من الغربة والنفى قد تؤدي إلى حالة واحدة - وهذا ما يهمننا في هذه الدراسة - إلا أن المنفى يبقى ملازماً للقهر والطرده من أرض الوطن. فيبدو أن مفهوم الغربة أوسع من المنفى، فهي تلك الحالة التي يعيشها الإنسان بعيداً عن أرض الوطن أما كانت أسبابها ودوافعها. إن شريحة غير قليلة من أبناء الشعب العراقي أثرت سبيل الهجرة لتجد متنفساً في بلاد الغربة. وبطبيعة الحال فإن عدداً لا بأس به من هؤلاء، ومعظمهم من الطبقة المثقفة هم من الشعراء والأدباء الذين جعلوا يبثون شكواهم، وما تعالج به صدورهم في أبيات من الشعر ودواوين صدرت لهم، تتفق جميعاً في قضايا كثيرة من حيث المفهوم والمحتوى، أهمها الإغتراب والشعور بالحنين إلى الوطن، والتغني بأمجاده، ورتاء جروحه العميقة (دلشاد، ٢٠٠٨م: ٦٩).

يجبى السماوي واحداً من الشعراء العراقيين الذين عانوا من التشرّد خارج البلاد، وواحد من الشعراء الذين نجد مضمون الإغتراب بكثافة في نصوصهم. والمتصفح لدواوين السماوي الصادرة بعد غربته يلاحظ كثافة إلحاح الشاعر على مفهوم الإغتراب في نصوصه، ومن خلال رصدنا لهذا الموتيف في دواوينه وإحصاء القصائد التي تتحدث عن الغربة كلّها أو بعض أبياتها قد نحصل على نسبة تقارب السبعين بالمائة بالقياس إلى الموتيفات أو الأغراض الأخرى لدى الشاعر. والجدير بالذكر أنها قد سجّلت أعلى نسبة لمفهوم الإغتراب في دواوينه الثلاثة «هذه خيمي .. فأين

ورسالة أخرى للماجستير في جامعة رازي بمحافظة كرمانشاه وعنوانها «الأسلوبية في شعر يحيى السماوي» للطالب «بهنام باقري» تحت إشراف «يحيى معروف». لكن كل هذه الدراسات والبحوث المقدّمة لم يتطرق أصحابها إلى موضوع الموتيف في شعر السماوي.

وقد تطرّقنا في هذه الدراسة إلى موتيف الإغتراب في شعر يحيى السماوي كنموذج للموتيفات الموضوعية التي ترد كثيراً في شعره، ثم تناولنا أهم الموتيفات التي تتولد من مفهوم الإغتراب كالحزن، والموت، والمرأة والحنين. أمّا المنهج الأسلوبية الذي اتخذناه طريقاً لهذه الدراسة، فلا يقف عند عملية رصد الموتيفات وإحصائها في النص، وإنما يتجاوز ذلك إلى عملية النقد والتحليل والتوضيح للمعاني التي ينطوي عليها العمل الإبداعي، والعلاقات اللغوية التي تكشف عن خصوصية الرؤية من ناحية، وعن القدرة الفنية التي يتمتع بها المبدع من ناحية أخرى.

وقد تكون للموتيف وظيفة رمزية. فالمفردات (الموتيفات) عندما تتكرّر في أعمال الشاعر تحمل دلالات وإيحاءات رمزية.. بعبارة أخرى تكرر العنصر الفعّال في النص لكي يصبح موتيفاً يضيف عليه إيحاءات ودلالات جديدة تؤهّله ليكون رمزاً كموتيف الحمامة، والخيمة، والبحر والريح.... كلّ هذه المفردات المكرّرة في شعر يحيى السماوي؛ أصبحت رموزاً (موتيفات) تدلّ على حالته الإغترابية.

مفهوم الإغتراب

الإغتراب في اللغة افتعالٌ من الغربة، والغربة والغرب: التزوح عن الوطن... والإغتراب والتغرب كذلك (ابن منظور: مادة غرب).

يقول أحمد جواد مغنية في تعريف الغربة: «الغربة عن الأرض هي ابتعاد الإنسان قسراً عن وطنه الأم، فيضطره

الوطن؟» و«نقوش علي جذع نخلة» و«البكاء علي كتف الوطن». فمن خلال عينة إحصائية قمنا بها، وصلنا إلى أن الشاعر تطرّق إلى مفهوم الإغتراب في أربع وعشرين قصيدة من الديوان الأول الذي يضمّ بين دفتيه خمس وثلاثين قصيدة؛ وفي ستّ عشرة قصيدة من الديوان الثاني الذي يضمّ خمس وعشرين قصيدة؛ وفي عشرين قصيدة من الديوان الثالث الذي يحتوي على ثلاثين قصيدة.

الإغتراب في شعر السماوي

الإرتحال عن الوطن يولّد إغتراباً مكانياً لا تفتح معه إلا أبواب الوحشة ولا يصبح العالم إلا ثقب إبرة. والإنسان لولا ظروفه الحرجة واضطراره ومطاردته، لما فارق الأحبة وأرض الوطن من تلقاء نفسه. والسماوي من هؤلاء الذين فُرض الإغتراب عليهم فرضاً، يقول عن سبب اغترابه وهروبه من العراق: «فأنا لم أهرب من العراق بحثاً عن رغيّف عافية أو خيمة أكثر ظلالاً... لقد هربت خوفاً من حبل مشنقة، كنت على مبعدة أشبار منه في ظل النظام السابق» (الطالبي، موقع المتقف، ٢٠١١ م)؛ فحينما حاصره رجال الأمن ذات ليلة لم يجد أمامه إلا الهروب من وطنه مصطحباً معه الحزن والرُعب:

وحينما حاصرني المغول ذات ليلة

عبرتُ سور الوطن المذبوح

زادي قلقي وكوثري رُعي! (هذه خيمي.. فأين

الوطن؟: ٧)

والمغول رمز لكلّ ظالم ومستبد. وهنا يرمز بما إلى رجال حزب البعث الذين أرغموا الشاعر على مغادرة وطنه العراق.

وفي موضع آخر يؤكد الشاعر أن غريبته لم تكن بحثاً عن وطن مستعار أو هوية جديدة، وإنما لكي لا يكون قاتلاً أو مقتولاً في وطن كثر القتل فيه:

عبرتُ الحدود

لا بحثاً عن هوية جديدة

إنما كي لا أكون قاتلاً أو قتيلاً

فأنا لا أجد مهنة القتل

في وطنٍ بات مسلخاً (مبسحة من خرز الكلمات: ٥٧)

السماوي يدرك في جلاء ووضوح أبعاد تجربته منفياً ومغترباً، داخل العراق أو خارجه، وبخاصة في الإحساس بمقدمات هذه التجربة وأسبابها على الصعيد السياسي، وإستشعاراً لتبعاتها ولوازمها، على شتى الجوانب الإجتماعية والنفسية والفنية، وهذا ما يعرّب عنه في مكاشفة مُبيّنة مباشرة؛ حيث يقول: «إنني قد عشتُ الغربة في الوطن، حين أصبح العراق في ظلّ نظام صدام حسين غابة مشاتق، بعدما كان بستان شعر وخيمة محيية، الأمر الذي جعل الهروب من الوطن أمنيةً ومطمحاً جماهيرياً...، أما وقد نجحتُ في اجتياز الحدود؛ فقد بقي العراق الحاضر الغائب والجنّة الموعودة، واكتشفتُ أنه كلما زدتُ ابتعاداً عنه، إزددتُ قرباً منه، واتّحاداً به، شأني في ذلك شأن جميع أحرار العراق، والذين طحنت الديكتاتورية عصافير أحلامهم، ومن حسن حظي أنني وجدتُ في الشّعْر وطناً مستعاراً، نصبتُ فيه خيمي، ونثرتُ في حقوله الشاسعة بذوري؛ فكانت فصائدي صرخات احتجاج حيناً، ونافذة أطلّ منها على الوطن أحياناً، وربما اتخذتُ منها مناديل أُحبيّ فيها دموع القلب والروح...، وهذا ما خفّف من وطأة الإغتراب، وعمّق من إحساسي بكون الشّعْر جسراً يربط بين ضفّة المنفى وضفّة الوطن» (بدوي، ٢٠١٠ م: ٦٧ و٦٨).

ومن خلال قراءة هذه السطور المضيفة الكاشفة يتبيّن لنا مدى وعي شاعرنا بحقيقة مُعتربه، وطبيعة منفاه، فلقد بدأ هذا الإغتراب بداية سياسية، برفضه السلطة القمعية الإستبدادية، ومخاصمته إياها، ثم إمتدّ ليكون نائياً مكانياً، ثم

تصعد هذا الشعور ليكون نائياً مغترباً روحياً، ثم عاد وقد تسامى على السلطة السياسية، والحدود المكانية؛ فأصبح جسراً متأولاً من الشعر إلى حقيقة الوطن الغائب، وأقام منه في نفسه وطناً بديلاً من الرؤى والأحلام:

عبرت سور القحط والأحزان

أفتش في الملاجئ عن غد الإنسان

و عن وطنٍ جميلاً كان! (عينك لي وطن ومنفى: ١٢٣)

و مهما يكن من شيء فإن أصداء تجربة الإحساس الأعمق بالنفي والإغتراب بأوجهه الحسبية والمعنوية هي النعمات السائدة على فضاءات الرؤية الشعرية لدى السماوي.

لقد عكس شعره حياته إنساناً مشرداً هارباً من الديكتاتورية، لاجئاً بعيداً عن وطنه المثخن بالجراح، ورمته وطنيته المخلصة على شواطئ الغربية، فلم يكتب إلا بما يتصل بحياته ومحنة وطنه «العراق»، حتى عدت كل هذه العوامل محنته الذاتية، فكان في منفاه صورة عن وطنه المنفي من خريطة العالم.

لقد أحب السماوي وطنه العراق وعشقه مما دفع ثمناً غالياً لهذا الحب:

عقدت - ولا ندم - عليه قرائها

روحي فمهرى - غربة - وصدافي

أخفقت في عشقي فكنت طريده

إنَّ الغربَ منتهى الإخفاق (نقوش على جذع نخلة: ١٦٦)

عقد الشاعر قرانه على وطنه العراق غير نادم فكانت الغربية مهرة. إنه دفع بنفسه إلى الإغتراب في سبيل حبه للوطن ولكنّه أخفق في هذا الحب عندما أصبح طريداً بعيداً عن محبوبته الوطن.

وفي إطار سعي الشاعر يحيى السماوي للتعبير عن موقفه ورؤاه في الغربية تعبيراً فنياً موفقاً اهتدى إلى استخدام مجموعة من وسائل التعبير الفنية الحديثة، وتوظيفها

في البناء الفني لقصائده من لغة شعرية موحية، وصور فنية مدهشة، وتناص، وإيقاعات نغمية ثرة، ومفارقات تصويرية، واستلهم معطيات التراث وعناصره، ذلك أن القصيدة العربية الحديثة لم تعد عملاً بسيط التكوين ... بل هي نسيج محكم تشكله وتغذيه جملة من العناصر، لعل أهمها ذاكرة الشاعر وما يجيش به من مخزون معرفي ووجداني. ففي ما يلي يجلنا الشاعر إلى قصة زكريا (ع) التي وردت في سورة مريم:

أعرف أن تنورك

لن يوجد على صحنى بالرغيف ...

فلا تبخلي على جرحي

بالرماد ...

وطنيتي واحتك ...

فقد بلغت من الغربية

عتيا! (شاهدة قبر من رحام الكلمات: ١١١)

الجملة الأخيرة تناص مع القرآن الكريم: «وقد بلغت من الكبر عتياً» (مريم /٨). وظف الشاعر نص الآية بتحوير طفيف فقد أبدل لفظة «الكبر» بلفظة «الغربة»، فالشاعر حاول أن يحور في النص القرآني فأدخله في سياق جديد يتماهي ورؤيته التي يريد الإفضاء بها، وقد أعطى للآية دلالة أخرى نفهمها من السياق الشعري في القصيدة، إذ أخذت القصة بعداً دلالياً جديداً مع الإحتفاظ بالشحنة المعنوية الدينية للنص الغائب في سياقه الجديد (النص الحاضر). ويبدو في الوهلة الأولى أنه مجرد اقتباس، ولكن بما أن الشاعر جعل الآية تتحدث عن نفسه متمصاً دور زكريا (ع) فقد أعطها بعداً آخر بما يتناسب مع السياق.

والمشهد يصور لنا معاناة الشاعر في الغربية فقد أقبل يخاطب وطنه كي يفسح له مجالاً للعودة والتوطن فيه ولا يطمع السماوي برخاء العيش في العراق فهو قانع بالقليل

من الموتيفات التي تتصل بمفهوم الإغتراب. وإذا ما تتبعنا نسبة هذه المفردات في القصائد التي تتحدث عن الإغتراب، سنلاحظ أنّ أكثر من سبعين بالمائة من هذه القصائد تطرقت إلى مفهوم «الحزن» و«الموت».

موتيف الحزن

السماوي من الشعراء الذين يتضح الحزن في أشعارهم، فهو شاعر الدمعة المنسكبة على مآسي الحياة، تعرّض لمعاناة قاسية في حياته، فقد مرّ بمحطات حزن لا يستهان بها من موت ابنه البكر، وموت أمه، وملاحقته من قبل حزب البعث، ثم غربته عن الوطن واحتلال العراق.. إلى آخر هذه المواجهات العنيفة مع الحياة، ومن ثم تأثرت شاعريته بهذه المواجهات.

و في المنفى أخذ يتابع أخبار الوطن الجريح ويتألم لألمه ويجزن لحزنه وكأنه ما غادر العراق لحظة؛ ومن خلال شعره نلاحظ أنّه أغرق نفسه بلجة الحزن على الوطن والتماهي معه حتى امتزجت روحه به، يقول:

عجبت لأنّ «بعضاً» من عناء

يكاد يفص - ياليلي - بماء؟

فكيف بعاشق في دار منفي

يكاد يفص حتى بالهواء؟ (عينك لي وطن ومنفي: ١٥)

إكتوى يحيى السماوي بنيران الغربة والبعد عن الوطن الحبيب وجاء شعره ليعكس لنا آلامه وأوجاعه ومعاناته، إنّه يعاني إغتراباً شديداً الوطأة على النفس. ومن شأن هذه الوطأة أن تولّد مشاعر حزينة تصل، في كثير من الأحيان، إلى حد الإحتناق:

الحزن أوفى الأصدقاء.. فلم يغب

عني فكان مُلاصقي كإزاري (البكاء على كتف

الوطن: ٣٦)

وهو شفاء جرح الغربة بالرماد فقد أرهقته هذه الغربة وقضى رداً من الدهر مشرداً بين البلاد حتى جاوز الستين من عمره ولعلّه أراد أن يلمح إلى هذه القضية. فقد بلغ بالفعل من الكبر عتياً في الغربة واستدعاء الشاعر لهذه الآية الكريمة بما تحمله من دلالات مأساوية، تستحضر «الكبر» في ذهن المتلقي بصورة لا شعورية.

يعيش الشاعر في استراليا غربتين؛ غربة الوطن وغربة اللسان فاللغة في استراليا هي اللغة الإنكليزية فالشاعر غريب اللسان، واستراليا ليست وطنه الحقيقي فهو غريب الدار أيضاً... فطالما نجد السماوي يكرّر «الغربتين» في شعره، حتى أصبحت هذه اللازمة موتيفاً أساسياً في شعره:

حالي بدار الغربتين خُطّي

مشلولة فاستفحل البُعد (البكاء على كتف الوطن: ١٠٥)

كذلك يصف حالته في الغربة والبُعد عن الوطن العراق:

معذورة إن تقتلي متأبداً

في الغربتين عن العراق شقيماً (السابق: ١٢٠)

فهذه حالة الإنسان المغترب الذي يبتعد عن وطنه

(حبيته) مرغماً ويختار سواها من الديار:

أرفيقة العمرين ما حال الفتى

في الغربتين لو اختار سواك (السابق: ١٤٠)

و أيضاً يقول:

يشكو لساني من جفاف بيانه

في الغربتين فأصحرت غاباتي (نقوش على جذع نخلة: ٧٠)

فكما نفهم إن المقصود بالغربتين؛ غربة الوطن وغربة اللسان، فلسانه أيضاً يشكو من الجفاف في البيان، حيث تتحول غاباته إلى صحاري قاحلة.

وفي ظل هذه الظروف القاسية التي يمرّ بها الشاعر في

غربته نجد معظم نصوصه تتسم بصبغة التوتر والقلق والحزن والشعور بالموت حتى أصبح «الحزن» و«الموت» في شعره

موتيف الموت

إنَّ هذا الشعور الإغترابي بالرحيل والإحساس بدنو الأجل هو شعور ملازم للمرء في عالمه الإغترابي، عندما يكون المرء بعيداً عن الوطن، إذ أنَّ هاجس الموت يلازمه كظله لدرجة يحسب القارئ أنَّه يسكنه في كل لحظاته، وهذا الشعور مردّه الخشية من الموت، وهو في بلاد الغربه دون أن يرى الأحبة، والأصدقاء، والأهل، ويكحل عينيه بثرى الوطن:

ستون.. لا أهلاً بقافلة

تدني ذئاب الحنّف من حملي! (لماذا تأخرتِ دهرًا؟: ٤٢)

وتلبّد هذه المشاعر في مساحة الوجدان حري أن يلفت نظر الشعر إلى تفحص الحياة وجدواها، وأن يحدق في الموت - النتيجة الحتمية للمخلوقات:

حانَ ترجلي من صهوة الأحلام..

آن لي التذثّر بالتراب (ن.م ٣٥)

فالشاعر يرى موته بسبب الغربة:

غربي إن شئت موتاً للهوى

و إذا شئت خلوداً شرقي (ن.م ١٦٧)

يرى الإغتراب / الغرب موتاً لعشقه وبالتالي موتاً له فيحنّ إلى العراق / الشرق ويجد فيه الخلود والحياة. ويقول في مكان آخر:

الوطن استراح مني..

و أنا استرحتُ منه..

لأنني منذ تمرّدتُ عليه متُّ! (قليلك لا كثيرهنّ: ٩٨)

فالسماوي منذ أن غادر العراق / الوطن أحسّ بموته وضياعه في العالم، وأراد بهذا الموت أن يواسي وطنه:

جنتك الآن أواسيك بموتي..

أخديني صدرك الطفل

انسجي لي من مناديل المراثي كفنًا.. (البكاء على

كتف الوطن: ٣٦)

لم يغب عنه الحزن في غربته فكأنه ملازماً له، وهذا الحزن هو وليد الغربة وحبّه للوطن، كما نجد أنّها تتفاقم وطأته على الشاعر حيث يقول:

أنا أمةٌ في الحزن لا نفرٌ

أما الهوى فأنا به الفرد (السابق: ١٠٩)

كما يرى نفسه في الحزن وارثاً لأبيه سيزيف فقد ورث منه الألم والعذاب:

«سيزيف» كان أبي

فأورثني عذابات التجلّد (هذه خيمي.. فأين الوطن:

(١٤٢)

نرى الشاعر في هذا المقطع يستدعي إسطورة «سيزيف» التي ترمز إلى العذاب والشقاء والمعاناة ويتماها معها بصورة قنيّة مثيرة للإنتباه. وهذا التأثير الميثولوجي (الأسطوري) في بث حالته الإغترابية دليل على إحساسه الحزين الذي يخفي وراءه مرارة وجراحاً عميقة في منفاه الوجودي.

وقد كتب الشاعر قصيدته «سادنُ الوجد الجليل»، للتعبير عن الواقع الإغترابي المعيش والغربة عن الوطن، فالإغتراب هو أكثر المدلولات التي سيطرت على أجواء القصيدة، يقول فيها:

أنا سادنُ الوجد الجليل حَبْرْتُهُ

طفلاً... وها قاربتُ يومَ ذهابي (البكاء على

كتف الوطن: ٧٤)

إنّ القصيدة هي رثاء حزين للذات، رثاء فيه من المرارة والحزن والإغتراب، مما يجعلها تدمع عين متلقيها وتصبي فؤاده، فكل كلمة تبثّ إحساس الشاعر بالوجد، والمرارة الداخلية، وكأنها صرخة من صرخاته الداخلية المكبوتة، لتفتح هالة في فضاء الوجود، معلنة أفول العمر واقتراب ميعاد الرحيل.

فهي السكن الروحي الذي يمنحه الأمان والهدوء
والإستقرار بعد رحيله عن وطنه والعيش في منفاه الوجودي؛
وهي التي تبث في روحه دفق الحياة وبصيص الأمل في تحفيز
الإبتكار وخلق الإبداع؛ في مثل هذه الحالة الحزينة التي يعيشها
الشاعر في الغربة لا يجد أمامه إلا أن يلتجأ لحبيبته لتخفف من
وطأة الهموم والأحزان، فيخاطبها:

أضْيِي لَيْلَ مُغْتَرِبٍ
عَقِيمِ النَجْمِ وَالْقَمَرِ
وَلُودِ الهمِّ والأحزانِ

داج بانس الوطري (نقوش على جذع نخلة: ١٣٨)
وقال أيضاً مخاطباً هذه الحبيبة:

صوتك زمماري

دجّن أفعي الحزن في حديقتي (م.ن: ١٧٠)

لقد تسلّى السماوي بهذه المرأة / الحبيبة في غربته فطالما
تغنى بها واتخذ صوتها زمماراً له، ليخفف من شدة الحزن
المستفحل في حديقة عمره.

موتيف الحنين

يرتبط الحنين إرتباطاً وثيقاً بالغربة في الشعر، فعندما يتعد
الإنسان عن مكان ما، يشعر بحنين إليه، ويشتاق لكل ما
فيه. فالغربة تقود إلى «الحنين وهو الشديد من البكاء
والطرب، وقيل هو صوت الطرب كان ذلك عن حزن أو
فرح. والحنين: الشوق وتوقان النفس، والمعنيان متقاربان،
حنّ إليه يحنّ حنيناً فهو حانّ.. يقال حنّ قلبي إليه فهذا
نزاع واشتياق من غير صوت» (مغنية، ٢٠٠٤م: ١٦)،
«يقال حنّ عليه، عطف عليه. وحنّ إليه أي نزع إليه» (ابن
منظور: مادة حنّ).

فالحنين هو الشوق وتوقان النفس إلى شيء محبوب بعد
عنها، وقد يكون الحنين إلى الحبيبة أو إلى الأهل أو إلى أيام

يخاطب السماوي في هذا المقتبس الوطن باعتباره الأم
التي يغامر بحياته من أجلها مواسياً لها بموته، متمنياً لو يُدفن
على صدرها فقد يجعله الموت في الغربة:

أتعني العشقُ وطول الليل والسكوت

يُخجلني لو أتني في غربي أموت (عينك لي وطن

ومنفى: ٧٨)

الرؤية التي يقدمها السماوي ليست رؤية تجربة، لأن
الموت لا يجرب، وإنما رؤية وعي تتكئ على رؤيته للحزن.
وحسبنا أن نشير إلى شبكة توزيع الألفاظ الدالة على
الموت في شعر السماوي.. فضلاً عن مفردة الموت هناك
ألفاظ تبرز قضية الموت وقد تكررت في المعجم الشعري
للسماوي كالمقبر، الكفن، النعش، التابوت، القتل، المقبرة
والجثة... وهي ألفاظ تحمل الموت في تفاصيله الواقعية، من
غير أن تفلسفه أو تأخذ منه موقفاً فكرياً أو عقائدياً.

موتيف المرأة

في هذا السياق لا تغيب المرأة عن مسارات قصائد
السماوي، لتؤكد حضورها؛ بوصفها باعثة على الأمل،
والتجدد، وتغيير منظوره للحياة، لتدل على مظهر آخر من
مظاهر تفاعله الوجودي؛ فالإحساس بالفحولة والحب هي
من مثيرات التفاعل الوجودي؛ لمجاهة الحياة، ومعانقتها،
وشقاوتها المؤلمة (شريح، ٢٠١١م: ١٤٦).

فالمرأة تمثل له الحضن الآمن الذي يأوي إليه في لحظات
الإغتراب واليأس، فهي المبددة لجراح الإغتراب والأحزان:

في آخر العمر اكتشفتُ

أن لي طفولة ضائعة

جاء بها حبك

فاستعدتُ ما أضاعه المنفى (قليلك.. لا كثيرهن: ٤١)

الصبا أو إلى الوطن. والحنين يكون بعد فراق، فالفراق يولد الحزن، وحين نكتفم هذا الحزن أو نذرف الدموع، نعبر عن حزننا وألمنا، أما الشاعر فإنه يترجم هذه الأحاسيس شعراً، ويطوعها بما يمتلكه من قدرة على التعبير عما يجيش في نفسه، فيصوغها شعراً؛ لذا فإن من الطبيعي ألا يتكيف الشاعر مع حاضره، وهو ما يشعره بالإنعزالية والوحدة، ونتيجة لذلك تمتلئ نفسه بالكآبة والقلق (المرزوقي، ٢٠٠٥م: ١٤٥)؛ وهذا ما حصل للشاعر العراقي يحيى السماوي الذي فجر سنين غربته بأشعار ينضح فيها الحب والحنين.

قال الأستاذ عبد المقصود حوجه في المقدمة التي كتبها لديوان السماوي «قليلك لا كثيرهن» واصفاً تعلق الشاعر بوطنه العراق وحنينه إليه: «عندما حل الأستاذ الشاعر الكبير يحيى السماوي باستراليا مواطناً له من الحقوق والواجبات ما لأي مواطن استرالي وذلك عام ١٩٩٧ م، كنت على يقين بأنه لن يغير جلده أو يخلع قدميه من طين «السماوة» ليركض بما في ساحات ومنتزهات «سيدني» بل سيظل أبداً طفل النخل في غابات «أديلايد» يحن باستمرار إلى رغيغ التنور... لم يخب ظني أبداً، فقد ظل شاعرنا الكبير وفيما لحنجرته ومبادئه وقاموسه...» (حوجه، ٢٠٠٦م: ٧)

يترك السماوي، بملء ارادته، الواقع الإسترالي، بكل ما يحمله من جمال وتطور وحضارة ورفق، لينغمس في حرارة الصحراء العراقية بكل ما تحمله من دفء، واحتضان، وتاريخ عريق، وبكل ما يحمله إليها من حنين، يتجلى في قصائد طالعه من قلب المأساة وكأن الشاعر ما غادر العراق قط؛

و قد كنتُ الفتى المصداح لكن

تعطل بعد تشريد لساني

أحنّ اليك بردياً ووحلاً

وصحراءً وغابةً سنديانٍ (هذه خيمي.. فأين الوطن:

٧٩ و٨٠)

من الصعوبة أن يعيش الإنسان جسدياً في مكان، وفكرياً في مكان آخر. وكأنّ هذا الجسد لا يتحسّس ما حوله، ولا يستغرق في جمالية المكان، ولا يستعذب بريق الحضارة الجديدة على طريقة شعراء الأندلس. أو كأنه يعتبر أنّ الخروج من الزمن العراقي إلى أي زمن آخر، أشبه بالخيانة.. فطالما نراه يتغنّى بمدينته "السماوة":

الله! ما أحلى السماوة.. صُبْحُهَا

صافٍ صفاء الضوء في المرآة

فتانة.. حتى نباخ كلابها

خلف القرى يُعوي ثغاء الشاة (نقوش على جذع

نخلة: ٧٨)

و أيضاً يقول فيها:

ويا سماوة قنديلي به عطش

لنجم ليلك.. لو عادت ليالينا! (هذه خيمي.. فأين

الوطن: ١٣٣)

للليل دلالات سلبية، إذ يدلّ على الظلم والإستبداد ولكن الليل في هذا البيت يدلّ على السعادة والرفاهية واجتماع الأحبة، فنرى الشاعر يحنّ ويشتاق لهذه الليالي التي قضاها في أحضان طبيعة السماوة مجتمعاً بالأحباب والأصدقاء الذين يعزّ على الشاعر الآن أن يلتقي بهم:

أحبابنا عزّ اللقاء وأذنت

شمسي قبيل شروقها بغياب

أحبابنا في الدجلتين تعطلت

أعيادنا من بعدكم أحبائي (البكاء على كتف الوطن: ٨١)

و أعلى نسبة للحنين في شعر السماوي تُوجَد في دواوينه التالية: «هذه خيمي.. فأين الوطن؟» و«نقوش

وللعلاقة التي تربط الشعراء العشاق بالحمامة أصول رمزية لأنها «رمز للمأوى ورمز للخلود ورمز للخصوبة والأنوثة والوداعة، ثم هي رمز للحزن والشوق والصبابة والبكاء، ثم هي رمز للألفة المشهورة من تألف الحمام» (الطيب، ١٩٧٠م: ٣/٩١٠).

ومما يذكره الأبيشيبي عن طبع الحمام قوله «ومن طبعه أنه يطلب وكره ولو كان في مسافة بعيدة، وربما صيد وغاب عن وطنه عشر سنين وهو على ثبات عقله وقوة حفظه، حتى يجد فرصة فيطير ويعود إلى وطنه...» (الأبيشيبي، ١٩٥٢م: ٢/١٢٣)

والحديث عن الحمامة وأشواقها وهمومها هو حديث الشاعر عن نفسه، وعن حبه وأشواقه، فالحمامة كانت قرينة الشعراء العشاق في غربتهم وحنينهم واشتياقهم وأحزانهم ولواعج صدورهم، وكل هذه المعاني حدت بهم إلى مشاركتها عواطفها وأحاسيسها والتجاوب مع نوحها. والحمام في شعر السماوي ليس ذلك الطير المعروف في الخطاب اليومي العادي، وإنما يتحول إلى عنصر رمزي يُشكل البناء الشعري، ويفتح عوالم الرؤية على مساحات الوطن والكون، كما يتعد عن السياق ليعانق الرؤى الآتية، فهو يحمل رمز الهجرة والبعد عن دفة الوطن، لكن - كذلك - يحمل شوق العودة إليه، وهي الدلالة التي يبحث عنها الشاعر / الإنسان في وطنه:

يا من أسرتَ غدي أغثَ أملي:

إياك تُرخي - أسري - صفدي

سيضيعُ لو أطلقتَ محتبلاً

طارت حمامته ولم تُعدْ (نقوش على جذع نخلة: ٤٧)

و أيضاً يقول مخاطباً حبيبته:

بينك والفرات

أصرة...

على جذع نخلة» و«البكاء على كتف الوطن» و«زنابق برية» وكل هذه الدواوين صدرت بعد رحيل الشاعر إلى استراليا. وقد رصدنا موتيف «الحنين» فيها فوجدناه يرد في أكثر من خمسين بالمائة من قصائد هذه الدواوين.

رموز الإغتراب

نقصد بمعجم الإغتراب هنا: الألفاظ التي تكررت في شعره ودلت على الإغتراب أو الشعور به. ولن نتطرق لألفاظٍ مثل: الغربة، المنفى، ... وما شابه ذلك، بل إلى ما يفرضي إليها مثل: الطيور المهاجرة، الحمامة، البحر، السفينة، الماء، الريح، ... وهي مفردات ترتبط بمفهوم الإغتراب وتكررت في دواوين السماوي حتى أصبحت موتيفات أو رموزاً تحمل دلالات جديدة يستخدمها الشاعر ويعبر من خلالها عن رؤاه وأفكاره في الغربة. وفي مايلي سنتناول كلاً منها على حدة:

الطيور / الحمامة

من أهمّ المفردات الدالة على الشعور بالغربة؛ تلك التي تشير إلى الطيور المهاجرة، أو التي تحنّ إلى أعشاشها ومن أبرز هذه الطيور هي الحمامة.

فقد اتخذ الشعراء من هذا الطائر وسيلة للتعبير عما رسخ من مكبوت نفسي مؤلم، وللتعبير عن الاستجابة الخاصة التي يبديها الإنسان الشاعر للطبيعة، فالعذاب والنوح الذي تعلنه الحمامة هو المكافئ الخارجي لانفعال الشاعر الداخلي ولحزنه وألمه ونوحه على من رحل عنه، وكان ما تعلنه الحمامة ينسجم مع ما يكنه الشاعر في نفسه، وكأنها أيضاً تعبر عن مكبوتة وما يحتضنه من ألم. ويعتقد «حسن جبار شمسي» أن رمز الحمامة في الغزل العربي القديم لا يحوم إلا في هذا الجو ولا يدل إلا عليه ولا يوحى إلا به (شمسي، ٢٠٠٨م: ١١٦).

استخدم السماوي «البحر» رمزاً للرغبة والخوف،
وارتياد المجهول، يقول:
نمضي معاً - إن شئت - نورستي..
فالبحر - رغم هدوئه - خَطِرٌ (عينك لي وطن
ومنفى: ٥٤).

لقد شحن الشاعر السياق بشحنة شعورية، استطاعت
أن تجعل «البحر»، في النص، ذا دلالة وظيفية تشير إلى
الخوف والرغبة.

وطبقاً لهذا الكشف الدلالي، فإن النص يتعد عن الأبعاد
المعروفة لهذا الرمز، إذ أن البحر، كما يقول يونغ، «يرمز
إلى اللاوعي الذي تتحشد فيه آمال الإنسان وأحلامه
ورغباته عارية عذراء لم تعرف قناعاً» (عوض، ١٩٧٨ م:
١٠٣).

نجد مفردات (البحر / النهر / الزورق / الشراع /
السفينة / الريح / الأمواج / الطوفان...) منتشرة في قصائد
الشاعر، وهي مفردات تتصل بـ «البحر» وتوحي بحياة
الصراع مع الشعور بالغرابة، حتى أننا نجد عدّة قصائد
معنونة بمثل هذه المفردات.

تتفاعل هذه المفردات لتولّد لدينا شعوراً واضحاً بهمّ
الشاعر الذي يعاني في داخله من صراعٍ شديد نتيجة الغربة
يترجمه لنا في شعره عن طريق تصوير صراع البحار وسفينته
وأشعتها مع البحر والرياح..

يخاطب الشاعر نفسه في قصيدة "حليّك في منفاك":

لا تنشر الأشرعة..

البحرُ بلا موجٍ

ولا ربيعٍ سوى الآهات... (البكاء على كتف الوطن: ٥٥)
فالشاعر يريد الرجوع إلى الوطن بعد سقوط الديكتاتور
العراقي صدام حسين عام ٢٠٠٣م ولكن - كما جاء في
هذه القصيدة - خطابات الدروايش / السياسيين في العراق

كلا كما يسيل من عينيّ

حين يطفح الوجدُ

و حين تشتكي حمامة الروح

من المهجير في الفلاة.. (قليلك لا كثيرهن: ١٦)

لا بدّ للشاعر داخل هذه الدّوامة والدّائرة الجهّمية من
راحة هي أشبه باستراحة المقاتل.. حينما يتحوّل قلبه إلى
طائر يمضي - أو يسري - به إلى الوطن الحبيب.. العراق
مَسْقَطُ الرّوح، كما جاء في قصيدته «طَيْرٌ أنا قلبي» من
ديوان «قلبي على وطني»:

طَيْرٌ أنا قلبي، إذا سكن الدّجى

يمضي به نحو العراق جنّاح (١٩٩٣م: ١٥٩)

وأيضاً قوله مخاطباً الشاعر الدكتور غازي القصيبي:

أبا سهيل ما لسرب طيوري

نُصِبَ الهديلُ بها وجفّ غديري؟

لا الأرضُ من حولي تدور فألتقي

أهلي.. ولا دار الهوى بسرور! (هذه خيمتي.. فأين

الوطن: ١٨٨)

يبقى السماوي في غربته يحنّ ويشتاق لأحبه وأهله
بالعراق، ومن شدّة مضاضة هذه الغربة ووطأها على نفسه
يجد الهديل نُصِبَ في سرب طيوره.

البحر

يشكل البحر مساحة مضيئة في الذاكرة العراقية وبخاصة
اللاجئين الذين أجبروا على الرحيل عبر البحر. فالبحر حافظة
للحكايات التي يرويها الأجداد للأحفاد عن تفاصيل المعاناة
التي مازالت بصماتها ماثلة في وجدانهم. ويوظف الشاعر
الموروث البحري لإبراز الأبعاد السياسية للقضية العراقية؛ ولا
يخفي أن الخوف والخطر في سياق القصيدة البحرية مستوح
من الموروث البحري للاجئين في زمن النكبة.

فمتى ينتفض النخل الفراقي

متى تكنس ريح القهر عار الأزمنة؟ (السابق: ٧٥)

و لدلالة الريح على الدمار جذور دينية، ففي القرآن الكريم استخدمت للعذاب وفي سياق الشدة في قوله تعالى: «وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية»، الحاقة / ٦.

النتيجة

إتخذ يحيى السماوي من الموتيف أداة جمالية تخدم الموضوع الشعري وتؤدي وظيفة أسلوبية تكشف عن الإلحاح أو التأكيد الذي يسعى إليه، وموتيف الإغتراب عنده صورة لافتة للنظر، تشكلت في دواوينه ضمن محاور متنوعة وقعت في الكلمة والعبارة واللازمة والصورة والمعاني. وقد ظهرت في شعره بشكل واضح تجعل القارئ والمستمع يعيش الحدث الشعري المكرر وتنقله إلى أجواء الشاعر النفسية، إذ كان يضيف على بعض هذه التكرارات مشاعره الخاصة فهي بمثابة لوحات إسقاطية يتخذها وسيلة للتخفيف من حدة الصراع الذي كان يعيشه أو حدة الإرهاصات التي واجهها في حياته، إضافة إلى إحساسه المرهف الذي جعله يعيش غربة روحية وفكرية أيضاً.

كما تبين لنا من هذه الدراسة، موتيف الإغتراب من أبرز الموتيفات في شعر السماوي وينطوي على محاور/ موتيفات عدّة كلّها تعود إلى إحساسه بالغربة التي عايشها زهاء عقدين، وتكرار هذه الموتيفات والإلحاح عليها يدلّ على أهميتها لدى الشاعر؛ تحمل في ثناياها دلالات نفسية وانفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق الشعري.

المصادر والمراجع

[١] الأبيشي، أبو الفتح (١٩٥٢م)، المستطرف من كل فن مستظرف، القاهرة، دار أحياء التراث العربي، ج ٢.

عن الكرامة والحرية والعدالة كلّها ترهات لم تحقّ شيئاً للشعب، فيفضّل البقاء في المنفى وعدم نشر الأشرعة / الرجوع إذ ليس في البحر من موج أو ريح حتى يستطيع الوصول إلى أرض الوطن. وفي قصيدة أخرى من ديوان «هذه خيمتي.. فأين الوطن؟» يقول الشاعر:

وما الفائدة؟

لديّ الشراع.. السفينة..

لكنما البحرُ

لا ماء في البحر.. لا ريح.. (١٩٩٧م: ٩٥)

فالسماوي يبحث عن الطريقة التي يعود بها إلى بلاده فلديه السفينة والزورق والشراع ولكن الظروف السائدة في العراق لا تساعد على العودة فلا يوجد ماء ولا ريح في هذا البحر الذي يريد ارتياده نحو الوطن. الماء هنا يرمز إلى الخير والإخصاب والنمو الإيجابي؛ حيث فيه مادة الحياة وفيه سرا خفياً قادراً على قهر الجذب وبعث الخصب والرزق. إن الماء عند هذا الشاعر بما هو أصل الحياة يذكرنا بما ورد في طيّات النصّ القرآني الكريم «و جعلنا من الماء كلّ شيء حيّ» الأنبياء / ٣٠؛ وقد يكون الماء حاملاً لمعنى الثورة على كلّ ظالم سياسي أو جور اجتماعي.

أما الريح فإنها ترمز إلى القوة المخصبة المولدة، فإنها تلقح السحاب، وبذلك يفسّر قوله تعالى: «وأرسلنا الرياح لواقح» الحجر / ٢٢. وقد ترمز الريح لغضب الشعب وثورته وانفعالاته، ولما كان السماوي شاعر مقاومة وشاعراً ثورياً، فقد إستعمل رموزاً تتماشى مع مقاومته وثورته فاستخدم رمز الريح دلالة على القوة ورمزاً للمقاومة والثورة وإشارة إلى الإخصاب، ورمزاً للتحدّي:

- [٢] ابن منظور المصري، أبي الفضل جمال الدين (١٤١٠ هـ): لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى.
- [٣] اسماعيل، عزالدين (١٩٧٢م)، الشعر العربي المعاصر: قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، ط٢، بيروت، دار الثقافة.
- [٤] بدوي، محمد جاهين (٢٠١٠م)، العشق والإغتراب في شعر يحيى السماوي، دمشق، دار الينابيع، ط ١.
- [٥] تقوي، محمد، إلهام دهقان (١٣٨٨ هـ. ش)، «موتيف جيست وچگونه شكل مي گيرد» (ما هو الموتيف وكيف يتشكل)، طهران، مجلة نقد ادبي، جامعة تربيت مدرس، العدد ٨، صص ٢٧ - ٧.
- [٦] دلشاد، جعفر وآخرون (٢٠٠٨م)، «الغربة في الشعر العراقي: الشاعر العراقي المهاجر نموذجاً»، طهران، جامعة تربيت مدرس، مجلة العلوم الإنسانية الدولية، العدد ١٥ (٤)، صص ٦٣-٧٥.
- [٧] السماوي، يحيى (١٩٩٣م)، قلبي على وطني، جدة، الناشر عبدالمقصود خوجة.
- [٨] —، (١٤١٥هـ)، عينك لي وطن ومنفى، ط١، جدة، منشورات دار الظاهري.
- [٩] —، (١٩٩٧م)، هذه خيمي.. فأين الوطن؟ ط١، ملبورن، استراليا، مطبوعات R.M.Gregory
- [١٠] —، (٢٠٠٣م)، الأفق نافذتي، إديلايد، استراليا، EUREKA
- [١١] —، (٢٠٠٥م)، نقوش على جذع نخلة، استراليا، منشورات مجلة كلمات - سيدني.
- [١٢] —، (٢٠٠٦م)، قليلك.. لا كثيرهن، جدة، منتدى الإثنية.
- [١٣] —، (٢٠٠٨م)، البكاء على كتف الوطن، ط١، دمشق، التكوين للتأليف والترجمة والنشر.
- [١٤] —، (٢٠٠٨م)، مسبحة من خرز الكلمات، ط١، دمشق، التكوين للتأليف والترجمة والنشر.
- [١٥] —، (٢٠١٠م)، شاهدة قبر من رخام الكلمات، دمشق، دار الينابيع، ط٢.
- [١٦] —، (٢٠١٠م)، لماذا تأخرت دهرأ، دمشق، دار الينابيع.
- [١٧] الشامي، حسن (٢٠٠٧م)، «مفاهيم أساسية في دراسة الموروث الشعبي الشفهي»، الرياض، مجلة الخطاب الثقافي - دراسات، جامعة الملك سعود، العدد الثاني، صص ٥٩-٦٠.
- [١٨] شرتح، عصام (٢٠١١م)، آفاق الشعرية / دراسة في شعر يحيى السماوي، دمشق، دار الينابيع.
- [١٩] شمسي، حسن جبار محمد (٢٠٠٨م)، ملامح الرمز في الغزل العربي القديم، لندن، دار السياب، ط ١.
- [٢٠] طه، المتوكل (٢٠٠٤م)، حدائق إبراهيم، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١.
- [٢١] الطيب، عبدالله (١٩٧٠م)، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج٣، بيروت، دار الفكر، ط١.
- [٢٢] عرايدي، نعيم (١٩٩١م)، البناء المجسم - دراسة في طبيعة الشعر عند محمود درويش، عكا، مؤسسة الأسوار، ط١.
- [٢٣] عوض، ريتا (١٩٧٨م)، أسطورة الموت والإنبعاث في الشعر العربي الحديث، بيروت، المؤسسة العربية للطباعة والنشر.

- [٢٤] المرزوقي، عبدالله فرج (٢٠٠٥م)، الشعر الحديث في قطر: تطوره واتجاهاته الفنية، قطر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، إدارة الثقافة والفنون، قسم الدراسات والبحوث، ط ١.
- [٢٥] مغنية، أحمد جواد (٢٠٠٤م)، الغربية في شعر محمود درويش، بيروت، الفارابي، ط ١.
- مراجع الإنترنت
- [٢٦] الطالبي، علي مولود (٢٠١١م): «يحيى السماوي.. وقنديله الشعري»، مقابلة مع الشاعر، صحيفة المثقف الكترونية، العدد: ١٧٤٠،
- <http://www.almothaqaf.com/index.php?option=com>



موتیف غربت در شعر یحیی سماوی

رسول بلاوی^۱، مرضیه آباد^۲، عباس طالب زاده شوشتری^۳، عباس عرب^۴

تاریخ دریافت: ۱۳۹۰/۱۱/۲۹

تاریخ پذیرش: ۱۳۹۱/۳/۳۰

موتیف (که در زبان فارسی به آن درون مایه یا بن مایه گفته می‌شود)، به‌عنوان عنصری مهم در نقد و تحلیل متون ادبی، در نقد اروپایی مورد توجه قرار گرفته است. اصل کلمه‌ی «موتیف» فرانسوی است و در ادبیات به معنای فکر اصلی، یا موضوع یا لفظ تکرار شونده، یا عامل و انگیزه است. موتیف‌ها در شعر حاوی دلالات‌های نمادینی هستند که با روح و اندیشه‌ها و عواطف شاعر ارتباطی تنگاتنگ و بنیادین دارند.

غربت به معنای زندگی کردن در جایی دور از وطن، گاه نزد شاعر به موتیف بدل می‌گردد و آن زمانی است که وی ناگزیر می‌شود دور از وطن و هر آنچه دوست می‌دارد و بدان مأنوس است زندگی کند، در قالب کلمات، عبارات، تصاویر و معانی به تکرار آن بپردازد.

مقاله حاضر بر آن است که بر مبنای روش توصیفی - تحلیلی، چگونگی به‌کارگیری موتیف غربت را در شعر یحیی سماوی، شاعر عراقی مقیم استرالیا بیان دارد. موتیف غربت آشکارا در شعر این شاعر جریان داشته و با جان وی و شیوه زندگی‌اش گره خورده است. این پژوهش از یک سو به‌کار بستن موتیف را به مثابه یکی از عناصر کلیدی و سازنده‌ی شعر یحیی سماوی نمایان می‌سازد و از دیگر سو به موتیف‌هایی نظر افکنده که نماینده غربت و آوارگی در شعر وی هستند، درون مایه‌هایی چون اندوه، مرگ، زن، دل‌تنگی و غم غربت و نمادهای دیگری از این دست که نشان از غربت شاعر دارند همچون: پرندگان مهاجر، دریا، باد.

کلید واژگان: شعر عراقی، موتیف، یحیی سماوی، غربت، شوق وطن، نماد.

۱. طالب دکتوره فرع اللغة العربية وآدابها في جامعة فردوسي مشهد، r.balawi@yahoo.com
۲. استاذة مساعدة في قسم اللغة العربية وآدابها جامعة فردوسي مشهد، mrz_abad@yahoo.com
۳. استاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها جامعة فردوسي مشهد
۴. استاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها جامعة فردوسي مشهد

Estrangement Themes in the Poetry of Yahia al-Samavy

**Rasool Balawi¹, Marziyeh Abad², Abbas Talebzadah Shushtari³,
Abbas Arab⁴**

Received: 2012/2/18

Accepted: 2012/6/19

Abstract

This study is aimed at exploring the themes of estrangement and his constant longing for home in Yahia al-Samawy's poetry. A theme that has re-invented, and presented itself in most of the poet's work, influenced by his life and personal experiences.

The study attempts to identify and define this theme as a form of art through the poet's work, discovering its motives, and how it could be employed as a method to communicate a message within a poetic story. It puts under the spot light the poet's preference and desire to include this theme in its varying forms more than any other theme in his work.

If the theme of estrangement was a fruitful tree then the sub-themes of sadness and death would serve as its branches, and the fruits would carry the colors of black and white, they would taste nostalgic, and feel like love, loss, sadness and the far seas, migrating birds, a lone tent in the desert, and a wondering Sinbad. All combined, the tree, its branches and fruits would work as one to deliver the poem's ultimate melody, while conversing the poet's story.

Keywords: Iraqi Poetry, Motive, Yahia al-Samawy, Roving, Nostalgia.

1. PhD Student, Department of Arabic Language & Literature, Ferdousi University, Mashhad, Email: r.balawi@yahoo.com

2. Assistant Professor, Department of Arabic Language & Literature, Ferdousi University, Mashhad, Email: mrz_abad@yahoo.com

3. Associate Professor, Department of Arabic Language & Literature, Ferdousi University, Mashhad.

4. Associate Professor, Department of Arabic Language & Literature, Ferdousi University, Mashhad.